الباب الأول
سعادة العبد فى التمسك بتقوى الله

إخوانى : إن الذين نعَتّهُم بالفضل والتقى أصبحوا بين **أطباق**[١٠] الثَّرى ، وقليل من أخلاقهم فى الأرض أخفياء لا يعرفون ، وإنى مورد إليكم بعض ما أفادنى الله تعالى من العلم إنى وجدت النصحاء رحمة الله عليهم ورضوانه متفقين على أن سعادة العبد فى الدنيا والآخرة فى التمسك بتقوى الله ألا وإن دلالة التقوى هى : الورع عن محارم الله والقيام بحدوده وتصفية القلوب من مكارهه ووجدتهم متفقين على أن إفساد الدين فى الجرأة على الله تعالى ألا وَإنّ دلالة الجرأة على الله عز وجل : ترك الورع والتعدى لحدود الله تعالى والإصرار على معصيته . عصمنا الله وإياكم من ذلك .

الباب الثانى
ما لايدرك كله لا يترك جله

إخوانى : إنى تدبرت أحوالنا فى دهرنا فأطلت فيه التفكر فرأيت زماناً مُسْتَصْعَباً قد تبدلت فيه شرائعُ الإيمان وانتقضت فيه عُرى الإسلام وتغيرت فيه معالم الدين واندرست الحدود وذهب الحق وباد أهله وعلا الباطل وكثُر أتباعه ورأيت فِتَناً متراكمة يحار فيها اللبيب ورأيت هوى غالباً وعدوا مُسْتَكْلِباً ، وأنفساً بحب العاجلة مشحونة بالشهوات معلقة ، ولأهوَائها متبعة وللدنيا على الآخرة مُؤْثِرة وبحب التعظيم والعلو وَالهة وعن التفكير محجوبة قد جللها الرياء فعميت عن الآخرة ، فالضمائر والأحوال فى دهرنا بخلاف أحوال السلف ، وضمائرهم ولقد بلغنا أن بعض الصحابة قال : « **لو أن رجلا من السلف الصالح أُنْشِرَ**[١١] **من قبره ثم نظر إلى قرائكم ما كلمهم ولقال لسائر الناس : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب** » فإلى الله أشكو الذى حل بنا من التبديل والتغيير ومخالفة الأخبار ، وبلغنا ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يأتى**

(١٠) طوتهم الأرض ودفنوا فيها .
(١١) بعث ونشر .

على الناس زمان المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر »[١٢] وقوله الحق ﷺ « المتمسك بسنتي عند فساد الناس له أجر مائة شهيد »[١٣] . فلما رأيت البلاء محدقاً بحدود الدين والفتن بنا محيطة والهوى فينا مطاعاً مُتبعاً خشيت الانسلاخ من الأمر كله فإنه بلغنا والله أعلم : « أن الرجل ليُسلب إيمانه وما يشعر ، وأن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه ويرجع وما معه من دينه شيء »[١٤] . فأشفقت من ذلك ونظرت على الضرورة إلى أمر هو بين أمرين : إذا لم نكن ممن يقوم بكل ما أمر الله به ، فلا ينبغي لنا أن نضيع كل ما أمر الله به فنهلك هلاك الأبد ألا فراقبوا الله عز وجل .

إخواني لا تخرجوا أنفسكم ، من الخير كله ولا تستهينوا بأمر الله كله ولا تهارزوا الله بالخلاف في أحوالكم ، وتمسكوا بقليل من كثير يجب عليكم وإن كان لا عذر لأحد في تضييع شيء من أمر الله ، ولكن سداد من عَوَز[١٥] وبعض الشر أهون من بعض ، والقليل يُتمسك به خير من ذهاب الجميع ! فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « سيأتي بعدكم قوم ، إن تمسكوا بعُشْرِ ما أنتم عليه نَجَوْا »[١٦] . ألا فتدبروا ما أقول لكم فقد اقتصرت على ما لا عذر دون القيام به ، وأخشى الهلاك في تضييعه أو يعفو الكريم بفضله .

الباب الثالث
أصل البلايا حب الدنيا

إخواني إني وجدت الأصل الذي هو ضد الآخرة وأبلغ مكايد الشيطان في فساد الأمة ، وتضييع حدود الدين وجدته حب الدنيا والتعظيم والعلو في الدنيا وهو أصل البلايا ورأس الخطايا ، ولذلك فرط العباد في كثير من حقوق الله تعالى ، وضيعوا

(١٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢) والترمذي في صحيحه (١١٧/٩) وأورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني . حديث رقم (٧٨٧٩) .

(١٣) أخرجه البزار والطبراني بلفظ تحسين شهيد انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٢٨٢/٧) وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ « المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد » وضعفه الألباني حديث رقم (٥٩٢٥) .

(١٤) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الزهد بلفظ « يصبح الرجل مؤمنا ، ويمسي كافراً ، ثم يمسي مؤمنا ، ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » حديث رقم (٢١٨) .

(١٥) العَوَز : الفقر والقِلّة .

(١٦) أخرجه الترمذي في صحيحه عن أبي هريرة وقال : حديث غريب انظر صحيح الترمذي (١٢٢/٩) .

من حدود الله الصلاة والصيام وسائر الفرائض ، وبحب المال والتعظيم تقلبوا فى فنون الحرام والآثام واستهانوا بكثير من أمر الله ونهيه ، ولذلك بارزوا الله بالعظائم وأصروا على الكبائر ، وأتوا على أنفسهم وما يشعرون ، وقد حذرهم رسول الله ﷺ فتنة الدنيا . بلغنا عنه عليه السلام أنه قال : « **لتأتينكم من بعدى دنيا تأكل إمانكم ، كما تأكل النار الحطب** »[١٧] وقال عليه الصلاة والسلام : « **ما شيءٌ أبغض إلى الله ، بعد الشرك بالله ، من حب الدنيا** »[١٨] وقال عليه الصلاة والسلام : « **مازال ربى معرضا عن الدنيا ، وعمن غرته ، واطمأن إليها منذ خلقها إلى يوم القيامة** »[١٩] . وقال ﷺ « **هلك المكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا ، وهكذا ، عن يمينه وعن يساره ، وقليل ماهم** »[٢٠] . وبلغنا أن الله تعالى : أوحى إلى موسى عليه السلام : « **أن يا موسى : لاتركن إلى حب الدنيا ، فلن تأتينى بكبيرة ، هى أشد عليك ، من حب الدنيا** »[٢١] . وبلغنا أن عيسى عليه السلام قال : « **يا معشر الحواريين الغنى مسرة فى الدنيا مضرة فى الآخرة ، إن الأغنياء يتملقهم الناس فى الدنيا ، ويطئونهم بأرجلهم فى الآخرة من أقبل وأدبر بحق أقول لكم : لا يدخل الأغنياء ملكوت السموات** »[٢٢] . وبلغنا أن بعض السلف قال : « **لأن أخِرّ من فوق فصر فأتحطم أحب إلى من مجالسة غنى** » . وقال : « **إن الغنى فى الدنيا الرفعة وفى الآخرة الذل ، الغنى يميل شدقه ويسيل لعابه** » . وبلغنا أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : « **أىُّ أُمتِكَ شَرٌّ ؟ قال : الأغنياء** »[٢٣] . ويح المحب للدنيا ! أما انتهى إليه أن موسى عليه السلام مر برجل وهو يبكى ، ورجع وهو يبكى ، فقال موسى عليه السلام : يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال :يابن عمران لو ترك دماغه مع دموعه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له ، وهو يحب الدنيا . أما يسمع الله عز وجل وهو يقول : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدّنيَا وزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُم فِيهاَ وهُمْ فيَها لايُبْخَسُونَ أُولَئِك الَّذِين**

(١٧) أورده الغزالى فى الإحياء ، وقال الحافظ العراق : لم أجد له أصلا ، انظر الإحياء (١٧١٨/٣) .
(١٨) أورده الغزالى فى الإحياء بلفظ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا » انظر الإحياء (١٧١٢/٣) .
(١٩) أورده الغزالى فى الإحياء عن موسى بن يسار (٣/ ١٧١٢) .
(٢٠) أخرجه أحمد فى المسند عن أبى هريرة انظر المسند (٣٠٩/٢ ، ٥٢٥) وأورده الغزالى فى الإحياء (١٧٦٢/٤) والحديث يشير إلى هلاك المكثرون من المال .
(٢١) أورده الغزالى فى الإحياء (١٧١٨/٣) .
(٢٢) وكيف وهم قد عاشوا عالم المادة فلا عجب أن يفوتهم عالم الملكوت .
(٢٣) أورده الغزالى فى الإحياء ، وقال الحافظ العراق : حديث غريب لم أجده ، انظر الإحياء (١٧٦٢/٤) .

لَيْسَ لَهُمْ فى الآخِرة إلا النَّارَ وحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيهَا وبَاطِلٌ ما كَانُوا يَعْمَلُون ﴾[٢٤] .

فهذا حال المحبين للدنيا أعاذنا الله وإياكم من حبها . إخوانى اعلموا أن صلاح الأمة وفسادها بصلاح العلماء وفسادهم وأن من العلماء رحمة على الناس يسعد من اقتدى بهم ، وأن من العلماء فتنة على الأمة يهلك من تأسّى بهم ، فالعالم إذا كان عاملاً برضوان الله مؤثراً للآخرة على الدنيا فأولئك خلفاءُ الرسلِ عليهم السلام ، والنُّصَحاء للعباد والدعاةُ إلى الله تعالى ، وأولئك رفقاءُ الأنبياء على منابر النور فى الحُلِيّ والحُلل يكرمون ويُحْبَرون وفى الأقارب والأباعد يشفعون إذ الخلائق ببعثهم مشغولون أولئك رحمة الله على الأمة وبركة عليهم يدعون إلى سبيل النجاة فيسعد من أجابهم وفاز من اقتدى بهم ولهم مثل أجر المتأسين بهم ، وقد جاءت الآثار بنعتهم . بلغنا أن بعض أهل العلم تلا هذه الآية : **﴿ وَمن أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دعَا إلى الله وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إنَّنِى منَ المُسْلمين ﴾**[٢٥] . قال : هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله فى دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحا فى إجابته وقال إننى من المسلمين[٢٦] . إن هذا خليفة الله يا قوم فبمثل هذا العالم اقتدوا وبه تأسوا تسعدوا وتفوزوا . إلا إن صنفا من العلماء رَضُوا بالدنيا عوضا من الآخرة فأثروها على جوار الله تعالى ورغبوا فى الاستكثار منها وأحبوا العلو فيها فتأسى بهم عالم من الناس وافتتن بهم خلق كثير أولئك أسوأ فتنة على الأمة تركوا النصح للناس كى لا يفتضحوا عندهم ويحهم كيف ينالون الخير بوعيد الله إياهم ؟! وشَرَوْا بالعلم ثمنا قليلا لقد خسروا وبئس ما اتجروا واحتملوا أوزارهم مع أوزار المتأسين بهم فهلكوا وأهلكوا أولئك خلفاء الشيطان ودعاة إبليس أقل الله فى البرية مثلهم وقد حذرهم رسول الله ﷺ فتنة العالم المؤثر للدنيا . بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **الفُقهاء أُمناء الرسلِ مالم يدخلوا فى الدنيا فإذا فعلوا ذلك فاتهموهم على دينهم** »[٢٧] . وقال عليه السلام : « **لاتزال هذه الأمة تحت يد الله ، وفى كنفه مالم يُجِل قُرَاؤهم أمراءهم ومالم يُزَكّ خيارُها شرارَها ومالم يميز صلحاؤها فجارها ، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده وسلط عليهم الجبابرة فيسومونهم سوءَ**

(٢٤) هود : ١٥ ، ١٦ . (٢٥) فصلت : ٣٣ .

(٢٦) أخرجه عبد بن حميد عن قتادة بلفظ « هو عبد صدق قوله » انظر الدر المنثور للسيوطى (٦/٣٦٤) .

(٢٧) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ، من حديث علىٍّ وابن عمر وإسنادهما ضعيف ، انظر الفردوس للديلمى رقم (٧٥٩٥) . وأورده الغزالى فى الإحياء (١/١١٥ ، ١١٦) والشوكانى فى الفوائد المجموعة ص ٢٨٩ .

العذاب »[٢٨] . وقال عليه الصلاة والسلام : « لاتقوم الساعة حتى تكون أمناء خونة ، وقُرّاء فسقة ليست لهم مرعة وتغشاهم فتنة ، وظلمة يتهوكون كما يتهوك اليهود فى الظلمة »[٢٩] . وبلغنا أنه قيل : يارسول الله أى الناس أشر ؟ فقال : « اللهم غفرا شرار أمتى شرار العلماء »[٣٠] . وبلغنا أن بعض الصحابة قال : « يأتى على الناس زمان مساجدهم عامرة خَربة من الهدى ، وذلك أن علماءَهم شرُّ مَن تُظِلّه السماء » . وبلغنا أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام : « لا تَسْتشِرْ فى أمرك عالما أسكره حبّ الدنيا ، فَيسُقطك بسكره عن طريق محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين »[٣١] . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : « من ازداد بالله عِلماً ، فازداد للدنيا حبا ، ازداد من الله بعدا »[٣٢] . وبلغنا أنه ذكر بعض أهل العلم مجالسة العلماء فقال: «إن شئت ففى مجالسة بعضهم لفتنه ، إذا كان العالم مفتوناً بالدنيا. راغباً فيها حريصاً عليها فإن فى مجالسته لفتنة تزيد الجاهل جهلاً وبفتن العالم يزيد الفاجر فجُوراً ويفسد قلب المؤمن» . وقال : «إن علماء السوء جلسوا على طريق الآخرة فقطعوا العباد عن الله تعالى ثم بكى» . وبلغنا عن عيسى عليه السلام أنه قال : «علماء السوء يصومون ويصلون ولايفعلون مايؤمرون ويدرسون ولايعملون فساء مايحكمون يتوبون بالقول والأمانى ويعملون بالهوى ومايغنى عنكم أن تُنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لاتكونوا كالمُنْخُل[٣٣] تُخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغِل فى صدوركم . يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ؟ ولا تنقطع منها رغبته ؟بحقٍّ أقول لكم : إن قلوبَكم تبكى من أعمالكم ، جعلتُم الدنيا تحتَ ألسنتكم والعلمَ تحت أقدامِكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم وصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى

---

(٢٨) أخرجه الديلمى فى الفردوس عن أبى هريرة حديث رقم (٨٧١٩) .

(٢٩) أورده السيوطى بلفظه عن أنس وضعفه الألبانى برقم (٦٤٥٧) والشوكانى فى الفوائد المجموعة ص(٢٨٩). والتهوّك : التردى والوقوع فى الشىء . والتهوك كالتهور .

(٣٠) أخرجه البزار عن معاذ بن جبل ، وقال الهيثمى : فيه الخليل بن مرة قال : البخارى منكر الحديث ورد ابن عدى قول البخارى وقال أبو زرعه : شيخ صالح . انظر مجمع الزوائد (١٨٥/١) ، وأورده السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى برقم (٣٣٨٠) .

(٣١) أورده الغزالى فى الإحياء (١٠١/١) .

(٣٢) أورده الغزالى فى الإحياء (٩٩/١) .

(٣٣) فى نسخة أخرى يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى النخالة كذلك أنم .

الناس أخْسَر منكم لو تعلمون ؟!! ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين[٣٤] وتقيمون فى محلة[٣٥] المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم ، مَهلاً مَهْلاً ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه موحِشٌ مظلم كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه موحشة مظلمة معطلة . يا عبيد الدنيا ؛ فلا كعلماء يعملون ولا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم »[٣٦] . إخوانى فهؤلاء علماء السوء وشياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا فى عَرَض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا ، فهم فى العاجل عارٌ وشَيْن وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله . وبعد فإنى رأيت الهالك الخاسر المؤْثِرَ للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص تنفجر منه أنواع الهموم وفنون المعاصى وإلى التلف والبوار مصيره، فعاد فرح الهالك نَزَحاً لم تبق له الدنيا و لم يسلم له دينه بل خسر الدنيا والآخرة بحبه للعاجل و لم يعلم الهالك ما قدر له . ألا ذلك هو الخسران المبين ! فيالها من مصيبة ما أفظعها ورزيّةٍ ما أجلَّها ، ألا فراقبوا الله . إخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الإنس بالحجج الداحضة عند الله عز وجل فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم الأموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع الأموال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ! ويحك أيها المفتون ! إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف ، مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك ؛ لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر ،، والشرف ، والزينة ، لقد اغتبت السادة ، ونسبتهم إلى أمر عظيم . ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت بمحمد ﷺ ، والمرسلين ، ونسبتهم إلى قلة الرغبة ، والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما تجمع المال ومتى زعمت أن جمع المال الحلال

---

(٣٤) المدلج : الداخل فى الظلام والسائر ليلاً والمراد بهم الذين فروا إلى الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور .
(٣٥) والمحلة مكان الحلول والنزول والإقامة .
(٣٦) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨١٦/٤ ، ١٨١٧) .

أفضل من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعَ المال خيرٌ للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ : لقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقا وبهم رءوفاً . نعم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه ، فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد زعمت أن الله عز وجل لم يعلم أن الفضل والخير فى جمع المال فلذلك نهاهم عنه ورغبت فى الاستكثار منه ، كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك . تعالى الله عن جهلك ! . أيها المفتون : تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ، ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – فقد ودّ عبد الرحمن بن عوف فى القيامة أنه لم يؤت من الدنيا أكثر من قوت يومه . وبلغنا عن رسول الله ﷺ قال : « **ما من أحد من الناس يوم القيامة غنى ولا فقير ، إلا ود أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً** »[٣٧] . ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نخاف على عبد الرحمن بن عوف فيما ترك ، فقال كعب[٣٨] : سبحان الله ، وما تخافون على عبد الرحمن بن عوف ، كسَبَ طيِّبا ، وأنفق طيبا ، فبلغ ذلك أبا ذر[٣٩] فخرج مغضبا ، يريد كعباً ، فمر بعظم لَحْى بعيرٍ ، فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب : إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان بن عفان – رضى الله عنه – يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان ، هارباً من أبى ذر ، فقال له : أبو ذر : هيه[٤٠] يابن اليهودية ، تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ! لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً يمشى فى المدينة نحو أُحُد وأنا معه فقال : ياأبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله فقال : « **الأكثرون أموالاً هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا**

---

(٣٧) أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك فى سننه حديث رقم (٤١٤٠) وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٧٠/٤) والشوكانى فى الفوائد المجموعة : كتاب الزهد حديث رقم (٥٧) والغزالى فى الإحياء (٢٤١٥/٥) .

(٣٨) كعب الأحبار ، وإليه تنسب أكثر الإسرائيليات .

(٣٩) أبو ذر الغفارى أحد الصحابة الأجلاء ، وكان له موقف من المال والأغنياء .

(٤٠) هِيهِ : بمعنى إيه فأبدل من الهمزة هاء . وإيه اسم فعل ومعناه الأمر تقول للرجل إيهِ بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما ، فإذا نونته استزدته من أى حديث .

عن يمينه وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ماهم »[41] . ثم قال : « **يا أبا ذر** » قلت : نعم يا رسول الله بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، قال : « **ما يسرنى أن لى مثل أُحُدٍ ذهباً أُنفقهُ فى سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين** » ثم قال : « **يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال مثل هذا فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج** »[42] . وبلغنا : أن عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – قدمت عليه عِيرٌ من اليمن ، فضجت المدينة ضجة واحدة ، فقالت عائشة رضى الله عنها : ماهذا ؟ فقيل : عير قدمت المدينة لعبد الرحمن بن عوف ، فقالت : صدق الله ورسوله ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فسألها فقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين ، والمسلمين يدخلونها سعيا ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا حبوا** » فقال عبد الرحمن بن عوف : « **أشهد الله تعالى أن العير وما عليها فى سبيل الله وأن أرقاءها أحرار لعلى أدخلها معهم سعيا** »[43] . وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف : « **أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى ، وما كدت أن تدخلها إلا حبواً** »[44] . ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال ، وهذا عبد الرحمن بن عوف فى فضله ، وتقواه ، وصنائعه المعروف وبذله المال فى سبيل الله ، مع صحبته لرسول الله ﷺ ، وبشراه له بالجنة[45] ؛ يقف فى عَرَصات[46] القيامة وأهوالها ، بسبب مال كسبه من حلالٍ للتعفف ، ولصنائع

---

(٤١) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أبى ذر وقال : حديث أبى ذر حديث حسن صحيح (٣/٩٥ ، ٩٦) ، والنسائى فى سننه كتاب الزكاة حديث رقم (٢) (٥/ ١٠ ، ١١) وأحمد فى المسند عن أبى هريرة . انظر المسند (٢/ ٣٠٩) ، وأورده الغزالى فى الإحياء وقال الحافظ العراقى : الحديث أخرجه الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن أبزى ، انظر الإحياء (٤/١٧٦٢) .

(٤٢) أورده الغزالى فى الإحياء بطوله (٤/١٨١٨) .

(٤٣) أخرجه البزار والطبرانى ، انظر كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى (٤/١٤٠) ، ومسلم فى صحيحه بنحوه : كتاب الزهد ، حديث رقم (٣٧) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (٤/١٨١٩) .

(٤٤) أخرجه أحمد فى المسند عن عائشة (٦/١١٥) ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب وعزاه إلى البزار والطبرانى ،، انظر الترغيب والترهيب (٤/١٤٠ ، ١٤١) ، وأورده الغزالى فى الإحياء ، وقال الحافظ العراقى : حديث ضعيف انظر الإحياء (٥/٢٤٠٩) .

(٤٥) حديث بشر النبى ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالجنة أخرجه الترمذى فى صحيحه فى مناقب عبد الرحمن ابن عوف (١٣/١٨٢ ، ١٨٣) .

(٤٦) العَرَصات جمع عرصة . كل موضع واسع لا بناء فيه .

المعروف ، وأنفق منه قصداً[٤٧] ، وأعطى فى سبيل الله سمحا ، منع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا ، فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا ؟! .

وبعد : فالعجب كل العجب لكل مفتون تمرغ فى تخاليط الشبهات والسُّحْت وتكالب على أوساخ الناس وتغمض فى المكاسب من حيث ما ظفر بها تناولها نعم وتتقلب فى الشبهات والزينة والمباهاة وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ! . ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فُتْياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف فتعرف فضائحك وفضل الصحابة بأموال أرادوُهَا للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً ، وأنفقوا قصداً ، وقدموا فضلاً ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها ، وجاد بعضهم بجميعها وفى الشدة آثروا على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت ؟! والله إنك لبعيد الشبه بالقوم ! وبعد فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ، ومن خوف الفقر آمنين ،وبالله عز وجل وبمقادير مسرورين ، وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلوّ والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبُلْغَةِ منها ، ورجوا الدنيا وقد رضوها قرضاً ، وقطعوا أمورها قطعاً ، وصبروا على مكارهها وتجرعوا مراراتها وزهدوا فى نعيمها وزهرتها فبالله أكذلك أنت ؟ . ولقد بلغنا : أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا : ذنب عُجِّلَت عقوبته ، وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا : مرحباً بشعار الصالحين[٤٨] . وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح يوماً ، وعند عياله شيء أصبح كئيباً حزيناً ، وإذا لم يكن عندهم شيء ، أصبح فرحا مسروراً ، فقيل له : الناس بالعكس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا ، وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت ليس كذلك ، قال : إنى إذا أصبحت وليس عند عيالى شيء فرحت إذ كان لى بمحمد ﷺ أسوة ، وإذا كان عند عيالى شيء اغتممت ، إذ لم يكن لى يومئذ بآل محمد ﷺ أسوة . وبلغنا : أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا : مالنا وللدنيا؟!

---

(٤٧) مقتصدا ودون إسراف

(٤٨) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٠/٤)..

وما يراد بها ؟! فكأنهم على جناح خوف ، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا : الآن تعاهَدنا رَبُّنا[٤٩] . وكان بعضهم يقول : إنّ أَسَرَّ أيآمى علىَّ يوم أرجع إلى أهلى ، فيشكون إلىَّ الحاجة ، وفى نسخة « **أَقَرُّ أيامى لعيْنى** » . وبلغنا : **أن بعض** الصحابة قال : « **إن أسرَّ أيامى إلىَّ أن يقال ليس فى البيت شىء ، ولا دينار ، ولا درهم ، ولا طعام ، لأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه** » . فهذا حال السلف ونعتهم ، وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا ، فبالله أكذلك أنت ؟! والله إنك لبعيد الشبه بالقوم ! وسأصف لك أحوالك . أيها المفتون ضدّاً لأحوالهم ؛ ذلك بأنك تطغى عند الغنى ، وتبطر فى الرخاء ، وتفرح عند السَّرّاء ، وتغفل عن شكر النَّعْماء وتقنَط عند الضَّرّاء ، وتسْخَطُ عند البَلاء ، ولا ترضى بالقضاء ، نعَمْ : وتبغض الفقر ، وتأنف من المسكنة ، وذلك فخر المسلمين ، وأنت تأنف من فخرهم ، وتدخر المال تجمعه خوفاً من الفقر ، وذلك من سوء الظن بالله ، وقلة اليقين بضمانه ، وكفى بهذا إثماً ، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا ، وزهوتها ، وشهواتها ، ولذاتها . وقد بلغنا : أن رسول الله ﷺ قال : « **شرار أمتى الذين غُذُّوا بالنعيم ، فربت عليه أجسامهم** »[٥٠] . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : « **ليجيئنّ يومَ القيامة قومٌ يطلبون حسناتٍ لهم ، فيقال لهم : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فى حَيَاتِكُم الدُّنْيَا ، واسْتَمْتعتمُ بِهَا[٥١] ﴾** »[٥٢] . وأنت فى غفلة قد حُرِمْتَ نعيم الآخرة ، بسبب نعيم الدنيا ، فيالها حسرة ومصيبة ! . نعم وعساك تجمع المال للتكاثر ، والعلو والفخر والزينة فى الدنيا . وقد بلغنا أن من طلب الدنيا ليكاثر بها ، أو يفاخر بها لقى الله وهو عليه غضبان[٥٣] ، وأنت غير مكترث لما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلو ! . نعم وعسى المكث فى الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله عز وجل ، فأنت تكره لقاء الله ، والله أكره للقائك ، وأنت فى غفلة ، وعساك تأسف على ما فاتك من عَرَضِ الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ

---

(٤٩) انظر الإحياء للغزالى (١٨٢٠/٤) .

(٥٠) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وصححه الألبانى حديث رقم (٣٥٩٩) ، والعجلونى فى كشف الخفاء ، وعزاه لابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة ، والبيهقى عن فاطمة الزهراء بسند ضعيف ، انظر كشف الخفاء (٨/٢) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥١) الأحقاف : ٢٠ .

(٥٢) أخرجه عبد بن حميد عن أبى مجلز رضى الله عنه ، انظر الدر المنثور للسيوطى (٤٣/٦) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٣) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

قال : « **من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة** »[٥٤] . وأنت تأسف على ما فاتك ، غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى . نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً ، لتوفير دُنْياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك ، ويرتاح له قلبك سروراً . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **من أحب الدنيا ، وسرّته ذهب خوفُ الآخرة من قلبه** »[٥٥] . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : « **إنك لمحاسب على التحزن على مافاتك من الدنيا ، ومُحَاسَبٌ بفرحك بالدنيا إذا قدرت عليها** »[٥٦] . من أحب الدنيا وسرته نزع خوفُ الآخرة من قلبه وأنت تفرح بدنياك ، وقد سلبت الخوف من الله تعالى . نعم وعساك تعنى بأمر دنياك أضعاف عنايتك بأمور آخرتك ، وعسى مصيبتك فى معاصيك ، أهون عليك من مصيبتك فى انتقاص دنياك . نعم وخوفك من ذهاب مالك ، أضعاف خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا ، وعساك ترضى المخلوقين بمساخِطِ الله كيما تبر ، وتكرم ، وتعظم . ويحك فكأن احتقار الله تعالى لك يوم القيامة أهون عليك من احتقار الناس إيّاك ، وعساك تخفى من المخلوقين مساوئك ، ولا تكترث لاطلاع الله عليك فيها ، وكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة فى الناس ، وكأن العبيد عندك أعلى قدراً من الله عز وجل ، تعالى الله عن جهلك . **ويحك هل بقى من الأسواء**[٥٧] **شىء لم** تحتو عليه نفسك ، فكيف تنطق عند ذوى الألباب ، وهذه المسائل الفاضحة فيك ، وأنت متلوث فى الأقذار ، وتحتج بمال الأبرار ، هيهات ما أبعدك من السلف ! والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أُحِلّ لهم أزهد منكم ، فيما حرم عليكم ، إن الذى لا بأس به عندكم ، كان من الموبقات عندهم ، وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاماً منكم لكبائر المعاصى ، وليت أطيب مالك ، وأحله عندك كان مثل شبهات أموالهم ، وليتك أشفقت من سيئاتك ، كما أشفقوا من حسناتهم أن لا تقبل منهم ، وليت صومَك على مِثل إفطارهم ، وليت اجتهادَك فى العبادة على مِثلِ فتورهم ونومِهم ، وليت جميعَ

---

(٥٤) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن عمرو ، وضعفه الألبانى حديث رقم (٥٤٢١) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٥) أخرجه ابن عبد البرّ فى « جامع بيان العلم وفضله » عن الحسن (١٩٣/١) ، وأورده الغزالى فى الإحياء ، وقال الحافظ العراقى : لم أجده إلا بلاغاً للحارث المحاسبى ، انظر الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٦) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢١/٤) .

(٥٧) جمع سوء ، وهو كل ما يسىء ويفضح .

حسناتِك على مثل واحدة من حسناتهم . ولقد بلغنى أن بعض الصحابة قال : « **غنيمة الصِّدِّيقين : مافاتهم من الدنيا ونَهْمتُهم مازُوِىَ عنهم منها** »[٥٨] . فمن لم يكن كذلك ، فليس معهم فى الدنيا ، ولا معهم فى الآخرة ، فسبحان الله ! كم بين الفريقين من التفاوت ! فريق مع خيار الصحابة فى العلو عند الله ، وفريق مع أمثالكم فى الأسفلين ، أو يعفو الله الكريم بفضله . وبعد فإن زعمت بأنك متأسٍّ بالصحابة تجمع المال للتعفف ، والبذل فى سبيل الله فتدبر أمرك . ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال ، كما وجدوا فى دهرهم ؟ أو تحسب أنك تحتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا ؟ .

لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال : « **كنا ندع سبعين بابا من الحلال ، مخافة أن نقع فى باب من الحرام** »[٥٩] . أخى أفتطمع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط ؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك . ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكرٌ من الشيطان ليوقِعَك بسبب البر فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسُّحت والحرام . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام** »[٦٠] أيها المغرور ، أما علمت أن خوفك من الاقتحام فى الشبهات أعلى ، وأعظم لقدرك عند الله ، من اكتساب الشبهات ، وبذلها فى سبيل الله وسبيل البر . بلغنا عن بعض أهل العلم قال : « **لأن تدع درهما واحداً ، مخافة ألا يكون حلالاً ، خير من أن تتصدق بألف دينار من شبهة ، لا تدرى تحل لك أم لا ؟!**[٦١] . وبعد فإن زعمت أنك أتقى ، وأورع من أن تتلبس بالشبهات ، وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله . ويحك إن كنت كما زعمت بالغاً فى الورع ، فلا تتعرض للحساب ، فإن خيارَ الصحابة خافوا المساءلة !! وبلغنا أن بعض الصحابة قال : « **ما يسرنى أنى أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال ، وأنفقه فى طاعة الله ، ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة ! قالوا : ولِمَ ذلك يرحمك الله ؟ قال : لأنى غنى عن مقام يوم القيامة ، فيقول الله تعالى : عبدى من أين اكتسبت ؟ وفى أى شىء أنفقت ؟. الحديث** »[٦٢] . فهؤلاء المتقون كانوا فى جدة الإسلام ، والحلال

---

(٥٨) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٢/٤) .

(٥٩) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٢/٤) .

(٦٠) أخرجه ابن ماجه فى سننه عن الشعبى . حديث رقم (٣٩٨٤) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٣/٤) .

(٦١) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٣/٤) .

(٦٢) يشير إلى حديث « لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يُسأل عن أربع خصال : عن عمرة فيما أفناه ، =

موجود لديهم ، تركوا المال وجَلاً من الحساب ، مخافة أن لا يقوم خير المال بشرّه ، وأنت من نُفَاية الأمة ، والحلال فى دهرك مفقود ، تتكالب على الأوساخ ، ثم تزعم أنك تجمع المال الحلال ! . ويحك وأين الحلال فتجمعه ، فلو كان الحلال موجوداً لديك ، أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبُك ؟ فقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال ، فيتركه مخافة أن يفسد قلبه ، أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة ، فلا تزول عن شيء من الحقّ فى أمرك ، وأحوالك ،، لئن ظننت ذلك ، لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء . ويحك : إنى لك ناصح ، أرى لك أن تقنع بالبُلْغَة ، ولا تجمع المال لأعمال البر ، ولا تتعرض للحساب ، فإنه بلغنا ، أن رسول الله ﷺ قال : « **من نوقش الحساب عُذِّبَ** »(٦٣) . وقال ﷺ : « **يؤتى بالرجل يوم القيامة ، وقد جمع مالاً من حرام ، فأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى بالرجل قد جمع مالاً من الحلال ، فأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤتى بالرجل قد جمع مالاً من حلال ، وأنفقه فى حلال ، فيقال له : قف لعلك قصرت فى طلب المال بشيء ، مما فرضت عليك من صلاة ، لم تُصَلّها فى وقتها ، أو فرطت فى شيء من ركوعها ، وسجودها ، ووضوئها ، فيقول : لا يارب كسبت طيبا من حلال ، وأنفقته فى حلال ، ولم أضيع شيئاً مما افترضت علىَّ ، فيقال : فلعلك اختلت فى شيء من مَرْكَبٍ ، أو ملبس ، أو شيء باهَيْتَ به فيقول : ربّ كسبتُ طيبا من حلالٍ ، وأنفقتُ فى حلالٍ ، ولم أضيّع شيئا مما فرضت على ، ولم أختل ، ولم أُبَاهِ فى شيء فيقال : لعلك منعت حق أحد ، أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، فيقول : لا يارب ، كسبت من حلال ، وأنفقت فى حلال ، ولم أضيع شيئاً مما فرضت على ، ولم أختل ، ولَمْ أُبَاهِ ، ولم أمنع حقّ أحد أمرتنى أن أعطيه ، فيجيء أولئك فيخاصمونه ، فيقولون : يارب أعطيته ، وأغنيته ، وجعلته بين أظهرنا ، وأمرته أن يعطينا فإن كان أعطاهم ، ولم يضيّع شيئا**

= وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » . والحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٣٤٦/١٠) ، والدارمى فى سننه عن معاذ بن جبل (١٣٥/١) والديلمى فى الفردوس حديث رقم (٧٤٩٨) ، والأثر أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٣/٤) .

(٦٣) أخرجه أحمد فى المسند عن عائشة (٩١/٦) ، والبخارى فى صحيحه : كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، حديث رقم (١٠٣) ، ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجنة حديث رقم (٧٩) وأبو داود فى سننه : كتاب الجنائز ، حديث رقم (٣٠٩٣) ، والترمذى فى صحيحه : كتاب القيامة (٢٥٨/٩) وابن حبان فى صحيحه (٢٣١/٩) ، كلهم عن عائشة رضى الله عنها .

من الفرائض ، ولم يخل فى شيء ، قيل له : قف الآن هات شكر نعمة واحدة ، أنعمتها عليك ، من أكلة ، أو شربة ، أو لقمة ، أو لذة فلم يزل يُسْأل »[٦٤] . ويحك فمن ذا الذى يتعرض لمثل هذه المساءلة إلا كل مُسْتَدرَجٍ مغرور مثلك ! . ويحك إن هذه المُسَاءلةِ كانت لهذا الرجل ، الذى تقلب فى الحلال ، وقام بالحقوق فيها ، فأدى الفرائض بحدودها ، وحوسب هذه المحاسبة فكيف تراه من يكون فى حال أمثالنا الغُرَقَاء فى فتن الدنيا ، وتخاليطها ، وشُبُهاتِها ، وزينتها . ويحك من أجل هذه المساءلة يخاف المتقون ، أن يَتَلَبَّسُوا بالدنيا ، ورَضُوا بالكفاف منها ، وعملوا بأنواع البر غير كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسْوَة . ويحك فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ فى الورع ، والتقوى ، ولم تجمع المال إلا من حلالٍ ، بزعمك للتعفف ، والبذل فى سبيل الله تعالى ، ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ، ولم يتغير بسبب المال قلبك ، عما يحب الله تعالى ، ولم تسخط الله عز وجل فى شيء من سرائرك ، وعلانيتك ، وتخاف . فإن كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة ، وتعتزل ذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال ، وتَسْتَبِقُ مع الزُّمرة الأولى فى زمرة المصطفى محمد ﷺ ، لاحبس عليك للمساءلة فإما سلامة ، وإما عَطَب . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام** »[٦٥] . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **وأما أصحاب الأموال ، فإنهم يلقون من الحبس ، والعطش ماشاء الله** »[٦٦] . وقال ﷺ : « **يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ، ويأكلون ، والآخرون حُبَاةٌ على رُكَبِهم ، فيقول الله عز وجل : قبلكم طِلْبتى**[٦٧] . **أنتم حكام الناس وملوكهم ، فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتم** »[٦٨] . **وبلغنا أن بعض**

---

(٦٤) أورده الغزالى فى الإحياء مطولاً ، وقال الحافظ العراق : الحديث بطوله لم أقف له على أصل . انظر الإحياء كتاب ذم البخل (٤/١٨٢٤) .

(٦٥) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أبى هريرة ، وقال : حديث حسن غريب ، انظر صحيح الترمذى (٩/٢١٢) ، وأحمد فى المسند بلفظ « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة سنة » ، انظر المسند (٢/٢٩٦ ، ٣٤٣) ، وأبو نعيم فى الحلية (٧/٩١) ، وأورده الغزالى فى الإحياء ، انظر الإحياء (٤/١٨٢٥) .

(٦٦) أخرجه أحمد فى المسند بلفظ « وحبس الغنى ما شاء أن يحبس » (١/٣٠٤) عن ابن عباس ، وأورده المنذرى فى الترغيب وقال : رواه أحمد بإسناد جيد قوى انظر الترغيب (٤/١٣٩) .

(٦٧) أى هناك من هو مطلوب قبلكم .

(٦٨) أخرجه الطبرانى ، وابن حبان فى صحيحه ، انظر الترغيب والترهيب (٤/١٣٦ ، ١٣٧) وأورده الغزالى فى الإحياء (٤/١٨٢٥) .

أهل العلم قال : « ما يسرنى أن لى حُمْرَ النَّعَم ، ولا أكون فى الرعيل الأول مع محمد ﷺ ، وحزبه »[٦٩] . ياقوم فاستغنموا السباق مع المخِفّين فى زُمرة المسلمين ، وكونوا وَجِلين من التخلّف ، والانقطاع عن رسول الله ﷺ كما وَجِلَ المتقون . قد بلغنا أن بعض الصحابة[٧٠] عطش ، فاستسقى فأوتى بشربة من ماء ، وعسل ، فلما أخذه فذاقه خنقته العبرة ، ثم بكى ، وأبكى ، ثم مسح الدموع عن وجهه ، وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء ، فلما أكثر البكاء ، قيل له : أكل هذا البكاء من أجل هذه الشربة ؟ قال : نعم . بينا أنا يوما عند رسول الله ﷺ جالس ومامعه فى البيت غيرى ، فجعل يدفع عن نفسه ، ويقول : « **إليك عنى** » فقلت له : فداك أبى وأمى ماأرى بين يديك أحداً فمن تخاطب ؟ قال : « **هذه الدنيا تطاولت إلَىَّ بصفتها وزينتها فقالت لى : يامحمد خذنى . فقلت : إليك عنى . فقالت : إن تنج منى يامحمد فإنه لا ينجو منى مَنْ بعدك** »[٧١]. فأخاف أن تكون الدنيا قد لحقتنى فقطعتنى عن رسول الله ﷺ . ياقوم فهؤلاء الأخيار ، بكوا وجلا ، أن تقطعهم الدنيا عن رسول الله ﷺ بشربة ماء من حلال . ويحك وأنت فى أنواع النعم ، والشهوات ، من مكاسب السحت ، والشبهات لا تخشى الانقطاع ! أُفٍّ لك ما أعظم جهلك ! . ويحك لئن تخلفت فى القيامة عن المصطفى محمد ﷺ لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة ، والأنبياء . ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق . ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير . ولئن لم تقنع بالقليل لتصير إلى وقوف طويل ، وصراخ وعويل . ولئن رضيت بأحوال المتخلفين ، لتقطعن عن أصحاب اليمين ، وعن رسول رب العالمين ، ولتبطئن على نعيم المتنعمين . ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحبوسين فى أهوال يوم الدين . ويحك تدبر ما سمعت فإن زعمت أنك فى مثل خيار السلف قَنِعٌ بالقوت زاهد فى الحلال ، بَذُول لمالك ، مُؤْثِرٌ على نفسك لا تخشى الفقر ، ولا تدخر لغد ، مُبْغِضٌ للتكاثر ، والغنى راضٍ بالفقر ، والبلاء فرح بالِقّلة والمسكنة ،مسرور بالذل والضَّعَة كاره للعلو والرِّفعة

---

(٦٩) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٥/٤) .

(٧٠) أبو بكر الصديق انظر عدة الصابرين ص (٢٠٧) ، والإحياء (١٨٢٥/٤) .

(٧١) أخرجه أحمد فى المسند ، عن أبى سعيد الخدرى ، انظر المسند (٩١/٣) . وابن أبى الدنيا عن زيد بن أرقم ، انظر عدة الصابرين لابن قيم الجوزية ص (٢٠٧) وأورده الغزالى فى الإحياء ، انظر الإحياء (١٨٢٥/٤) .

قوى فى أمورك ، لا يتغير عن الرشد قلبك ، قد حاسبت نفسك فى الدنيا ،**وأحكمت** أمورك كلها على ما وافق رضوان الله عز وجل ، ولن **توقف للمساءلة ، ولا يُحَاسَب** مثلُك من المتقين ، **وإنما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله** . ويحك أيها المغرور فتدبر الأمور ، وأَحْسِنِ النظر ، أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال ، وفراغ القلب للذكر ، والتذكر ، والتذكار والفكر ، والاعتبار ، أسلم للدين ، وأيسر للحساب ، وأخف للمساءلة . وآمن من روعات القيامة ، وأجزل للثواب ، وأعلى لقدرك عند الله سبحانه وتعالى أضعافاً ؟ . بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال : « **لو أن رجلا فى حِجْرِهِ الدنانيرُ يعطيها ، والآخر يذكر الله تعالى لكان ذاكر الله تعالى أفضل** »[٧٢] . وبلغنا أنه سئل بعض أهل العلم فى الرجل يجمع المال لأعمال البِرّ قال : تركه أَبَرّ به . وبلغنا أن بعض خيار التابعين ، سئل عن رجلين : أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها ، فوصل بها رَحِمَه وقدم لنفسه ، والآخر جانبها فلم يطلبها ، ولا تناولها فأيهما أفضل ؟ فقال : « **بعيد والله ما بينهما ، الذى جانبها أفضل ، كما بين مشارق الأرض ومغاربها** »[٧٣] . ويحك فهذا الفضل لك بَتْرِكِ الدنيا على من طلبها فى الآجل ، ولك فى العاجل أن ترك الاشتغال بالمال أروح لبدنك ، وأقل لتعبك ، وأنعم لعيشك ، وأرضى لبالك وأقل لهمومك ، وغمومك ، فما عذرك فى جمع المال ، وأنت بترك المال أفضل ، ممن طلب المال لأعمال البر نعم : وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله ، فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة ، والفضل فى الآجل . وبعد فلو كان جمع المال لأعمال البر أفضل من تركه ؛ إذا والله لسبقكم النبى محمد ﷺ إلى هذا الفضل والخير الذى تزعمون فى جمع المال ، ولكن رسول الله ﷺ علم أن رضوان الله تعالى فى مجانبة الدنيا فجانبها[٧٤] . وبلغنا عنه عليه السلام أنه قال : « **أتانى جبريل ﷺ بمفاتيح خزائن الأرض فوالذى نفس محمد بيده ما بسطت إليها يدى** »[٧٥] . فقال بعض الصحابة : لو يعلم فيها خيراً لبسط إليها يده ﷺ . وبعد فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لقد

---

(٧٢) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٦/٤) .

(٧٣) أورده الغزالى فى الإحياء (١٨٢٦/٤) .

(٧٤) انظر المصدر السابق (١٨٢٧/٤) .

(٧٥) أخرجه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمر مطولاً ، انظر المسند (٤٨٩/٣) ، وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب عن ابن عباس ، وعزاه للطبرانى بإسناد حسن والبيهقى فى الزهد ، انظر الترغيب والترهيب (١٩٦/٤) .

وجب عليك فى مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك عليه السلام ؛ إذْ به هداك الله ، وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا . وبلغنا عنه – عليه السلام – أنه قال : « **مالى وللدنيا وما أنا والدنيا إلا كراكب سائر استظل بشجرة ثم رحل عنها** »(٧٦) . وقال عليه السلام : « **اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ولا تحشرنى فى زمرة الأغنياء** »(٧٧) . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً** »(٧٨) . ويحكم أفتحسبون أن محمداً ﷺ جهل الاختيار لنفسه لا والذى أكرمه بالرسالة ما اختار لنفسه إلا أفضل الأمور وأعلاها . ويحك فارض لنفسك ما رضيه نبيك محمد ﷺ ، وكن مع نبيك بالتأسى به وسر مع لواء المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، سابقا إلى جنة المأوى . أخى تدبر ما سمعت ، وكن على يقين أن السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **إن سادات المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء ، وإذا استقرض لم يجد قرضاً ، وليس له فضل كسوة إلا ما يوارى به بدنه ، ولم يقدر على أن يكسب ما يغنيه ، يمسى مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه : ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم ، مِنَ النَّبِيِّين ، وَالصِّدِّيقِين والشُّهدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**(٧٩) ﴾(٨٠) . أخى تدبر ما سمعت وكن على يقين أن الشَّرّ مجموع فى الاستكثار من عَرَضِ الدنيا . بلغنا ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال لبلال : « **إن استطعت أن تلقى الله فقيراً ولا تلقاه غَنِيّاً فافعل ، قال** : وكيف لى ذلك يارسول الله ؟ **قال : مارزقت فلا تخبئه ، وما**

---

(٧٦) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن عبد الله ، وقال : حديث حسن صحيح انظر صحيح الترمذى (٢٢٣/٩) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الزهد حديث رقم (٤١٠٩) .

(٧٧) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أنس ، وقال : حديث غريب (٢١٣/٩) ، وابن ماجه فى سننه عن سعيد الخدرى ، انظر سنن ابن ماجه كتاب الزهد حديث رقم (٤١٢٦) ، والطبرانى فى الأوسط ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٢٦٢/١٠) .

(٧٨) أخرجه البخارى فى صحيحه انظر فتح البارى (٢٨٧/١١) ومسلم فى صحيحه عن أبى هريره ، انظر صحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم (١٩) ، والترمذى فى صحيحه كتاب الزهد ، وقال : حديث حسن صحيح (٢١٥/٩) ، وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الزهد (١٧٠/٤) ، والغزالى فى الإحياء (٢٤٢٤/٥) . أى بقدر ما يمسك الرمق من المطعم .

(٧٩) النساء : ٦٩ .

(٨٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٠٠/٧) ، والطبرانى وقال : هذا حديث غريب من حديث سفيان الثورى عن محمد بن زيد يقال هو العبدى ، تفرد به عبد الملك ، انظر عدة الصابرين لابن قيم الجوزية ص (٢٠٤) ، وأورده الغزالى فى الإحياء ، فى كتاب ذم البخل ، انظر الإحياء (١٨٢٧/٤) .

ابتليت به[٨١] فلا تمنع ، قال : وكيف لى بذلك يارسول الله ؟ قال : أو النار »[٨٢] .
ويحك إن عقلت ما سمعت فمالك فى جمع المال حجة تحتج بها أكثر من طلب البلغة من الله ، وبالله فليكن الاشتغال ! . إلى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبذل والفضل تجمعه ، لا ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه وللتنعيم والزينة والتكاثر والتفاخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال . ويحك راقب الله واستحى من دعواك أيها المغرور . ويحك إن كنت مفتوناً بحب الدنيا ، فكن مُقِرّاً أن الفضل والخير والرضى بالبُلْغة بمجانبة الفضول ، نعم ، وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا بإساءتك ، وَجلاً من الحساب فذاك أنجى لك ، وأقرب إلى العفو من طلب الحُجَج لجمع المال . أخى تدبر ما سمعت ، وانظر لنفسك بعقلك ، فالحظ لك فى مجانبة الدنيا ، والله عنك غَنِىّ وأنت إليه فقير . إخوانى اعلموا أن دهر الصحابة – رضى الله عنهم – كان الحلال فيه موجوداً ، وكانوا مع ذلك أورعَ الناس ، وأزهدَهم فى المباح لهم ، ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود ، فكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت ، وستر العورة ؟ فأما جمع المال فى دهرنا فأعاذنا الله ، وإياكم من ذلك . وبعد فأين لنا بمثل تقوى الصحابة ، وورعهم ، ومثل زهدهم ، واحتياطهم ؟ وأين لنا مثل ضمائرهم ، وحسن نياتهم ؟ دُهِينَا وربّ السماء – بأدواء[٨٣] النفوس وأهوائها ، وعن قريب يكون الورود فيالسعادة المخفّين[٨٤] إذا سبقوا ! ويالغموم المثقلين إذا وقفوا! ويالسرور المتقين – يوم النشور ! وحزن طويل لأهل التكاثر ، والتخاليط ، وقد نصحت لكم إن قبلتم ، والقابلون لهذا قليل ، وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته .

الباب الرابع
عليك بالقناعة والتواضع

إخوانى ثم التمست بابا عظيم الشان يغلق عن فتن الدنيا ، وغرورها ، ويفتح عن

(٨١) أى لاتمنع ما ابتلاك الله به واختبرك من عرض الدنيا عمن يحاجون إليه .
(٨٢) أورده الشوكانى فى « الفوائد المجموعة » ، وعزاه إلى الخطيب عن بلال مرفوعا ، والطبرانى عن ابن مسعود مرفوعاً ، والبزار عن أبى هريرة مرفوعاً ، وقال ابن حجر فى زوائده : إسناده حسن ، انظر الفوائد المجموعة : كتاب الزهد والأدب حديث رقم (٥٨) .
(٨٣) سقطت من الأصل واستدركناها من المصادر المثبتة للنص . والأدواء جمع داء .
(٨٤) الذين سارعوا إلى مغفرة من الله ورضوانه .

الآخرة ، وبركاتها فوجدته فى القناعة ، والتواضع وهما ضدا المكاثرة والكبر وذلك أن العبد إذا رضى بالتواضع فى الدنيا فقد تعجل نفى الكبر عن قلبه ، فلم يأسف على الرفعة ، والعلو فسلم من فتن الدنيا وعظيم أيامها ، وهو بتواضعه مغتبط فى العاجل ، وجيه عند الله ، وكذلك إذا قنع العبّد بالبُلغة لم يتكالب على التكاثر مكالبة الكلاب على الجيفة فهو رَخِىّ البال فى دنياه ، قليل الآثام فى دينه ، رضى باليسير من الرّزق ورضى الله عنه باليسير من العمل فتعجل بالقناعة راحة العاجل وسعد برحمة الله فى الآجل . إخواننا ألا فراقبوا الله عز وجل . إخوانى واقنعوا بما أجزأ وكفى ، ودعوا طلب الفضول[٨٥] فى الذى لا فقر بكم إليه[٨٦] . فإنه بلغنا أن « **فضول الدنيا عند الله تعالى رجس ويؤتى بالدنيا يوم القيامة فيقال : ميزوا منها ما كان لله ، واقذفوا بسائرها فى النار** » . وبلغنا « **أن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى ، وما أدى إلى ذكر الله** »[٨٧] . وبلغنا عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « **دعوا الدنيا لأهلها فإن من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وما يشعر** »[٨٨] . وبلغنا أن بعض الصحابة قال : « **شِرار الناس : من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه** » . يا قوم فمن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون من أهل هذا الحديث ؟! . فإنه بلغنا أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **لو أن لابنِ آدم واديين من ذهب ، لابتغى لهما ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** »[٨٩] . ألا ومن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون من أهل هذا الحديث ؟! . فإنه بلغنا أن بعض الصحابة قال : « **ويل لكل جَمّاع فاتح فاه ، كأنه مجنون يرى ما عند الناس ، ولا يرى ما عنده ، وويل له من عذاب يوم طويل ، لو استطاع لوصل الليل بالنهار** » . ألا ومن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون من أهل هذا الحديث ؟! . فإنه بلغنا أن ابن مسعود رضى الله عنه وجماعة شكوا الحق إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ : « **اصبروا ، وأبشروا ، فإن الأمر وشيك ، وكأن**

---

(٨٥) الفضول : مازاد عن الحاجة . (٨٦) لا احتياج لكم إليه .

(٨٧) أخرجه الترمذى فى صحيحه عن أبى هريرة وقال : حديث حسن غريب ، انظر صحيح الترمذى كتاب الزهد (١٩٨/٩ ، ١٩٩) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الزهد حديث رقم (٤١١٢) .

(٨٨) أورده السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس وضعفه الألبانى حديث رقم (٩٨٠) .

(٨٩) أخرجه الترمذى فى صحيحه ، عن أنس بن مالك ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، انظر صحيح الترمذى : كتاب الزهد (٢٠٥/٩) ، والبزار عن بريدة وقال الهيثمى : رجاله صحيح غير صيح أبو العلاء وهو ثقة ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٢٤٤/١٠) .

قد تم » . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « سيأتى بعدى قوم يأكلون أطايب الدنيا ، وألوانها ، وينكحون أجمل النساء ، وألوانها ، ويلبسون أجمل الثياب ، وألوانها ، ويركبون أفره الدواب ،وألوانها ،لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفون على الدنيا يغدون ، ويروحون إليها ، اتخذوها آلهة دون إلههم ، وربا دون ربهم ، إلى أمرها ينتهون ، وأهواءهم يتبعون ، فعزيمة – من محمد ﷺ – لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم ، وخلف خلفكم لايسلم عليهم ، ولا يعود مرضاهم ، ولا يتبع جنائزهم ، ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام »[٩٠] . إلا ومن لم يقنع بما يكفيه كيف يأمن أن يكون ممن قال الله فيه : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٩١] . وكيف يأمن من لايقنع أن يحل به هذا الوعيد من الله تعالى ، فيهلك أعاذنا الله وإياكم من حب التكاثر ، وأنعم علينا ، وعليكم بالقناعة ، والتواضع . ياقوم إن الغنيمة – والله – فى الرضى بالبُلْغَةِ لا فى التكاثر . والغنيمة – والله – فى خمول الذكر لا فى الرفعة ، والرياسة والغنيمة – والله – فى ذل النفس لا فى التجبر ، وقد نصحت لكم إن قبلتم ، والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته .

الباب الخامس
اطلبوا القوت من حله

إخوانى فمتى انعم الله عليكم بالقناعة والتواضع فاشكروه كثيرا ، وراقبوا الله فى هذا القوت الذى قنعتم به فالتمسوه من أحل وأطيب ما تجدون إليه سبيلاً ، ليكون أيسر لحسابكم ، وليتمّ لكم خير الآخرة بطيب المكسب ، كما تعجلتم بالقناعة التى هى راحةٌ للقلب فى الدنيا ، واعلموا أن الحلال الذى لا شك فيه عزيز منذ زمان ، وإنا لفى شبهات ممزوجات بالحرام والسُّحت ! فيالها شبهات مستورة ! لكنها من التخاليط التى تعملون فمتى يكون لأمثالنا ورع ، أو متى يصفو لنا عمل ، ونحن نمتلىء من الشهوات ، ونلبس الزينة من الشبهات ؟!! . وبلغنا أن بعض أهل العلم قال :

(٩٠) أخرجه البزار ، وقال الهيثمى : فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وقد وثق والجمهور على تضعيفه ، وبقية رجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٢٥٠/١٠) ، وأورده الغزالى بطوله فى الإحياء ، وقال الحافظ العراقى : الحديث سنده ضعيف ، انظر الإحياء ، كتاب ذم البخل (١٧٦٢/٤) .
(٩١) التكاثر : ١ – ٤ .

« **يبعث الله يوم القيامة أقواماً من قبورهم ، أنتن من الجيف ، وهم الذين يتلذذون بفضول أموالهم من الشبهات ، قال : والله وأنا منهم** » . إخوانى فهذا العالم الخائف كان هذا حاله عند نفسه ، وإشفاقه من عواقب الشبهات ! فترى كيف يكون حال أمثالنا الغرقاء فى هذه الدنيا ، وشهواتها ، وشبهاتها ، وأقذر من الشبهات ؟! . ألا فراقبوا الله ، وتورعوا فى اكتساب القوت ، فإن قوام الدين بالورع . وقد بلغنى أن العبادة سبعون جزءا ، أفضلها طلب الحلال . وروى أن طالب القوت من حِلّه كالغازى فى سبيل الله تعالى[٩٢] . وبعد فإن كثير العبادة مع خبث القوت لا يؤمن أن يعود هباء . وبلغنا عن بعض الصحابة أنه قال : « **إذا طاب المكسب زكا العمل . وسَتُرَدّ فتعلم** » . وحكى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول : « **خصلة أريدها من ابن آدم ثم أُخَلّى بينه وبين ما يريد من العبادة أجعل كسْبَه من غير حِلّ : إن تزوج تزوج من حرام وإن أفطر أفطر على حرام ، وإن حَجّ حَجّ على حرام** » . إخوانى فتحرزوا فى طلب القوت ، وراقبوا الله فى الحرام أن تقربوه ، وتحرزوا من تخليط الشبهات فقد كان فى السلف الصالح من يدع سبعين باباً من الحلال مخافة أن يقع فى باب واحد من الحرام ، ألا فتحرزوا من الشبهات أحلها ، وأسترها ، وأقلها دنسا ، وأخلقها بالسلامة . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **الحلال بين والحرام بين ، وبينهما شبهات لا يدرى كثير من الناس ، أمن الحلال هى أم من الحرام** »[٩٣] ؟ . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **من اجترأ على الشبهات ، يوشك أن يقع فى الحرام** »[٩٤] . إخوانى فتنقلوا فى اكتساب القوت ، من حالة إلى حالة ، ومن حرفة إلى حرفة ، ما هو أسلم منها ، ومن كسب إلى كسب ما هو أصلح منه ، لتكونوا بالتقوى عاملين وللحلال طالبين . وبعد فتحرزوا فى مكاسبكم ، من فنون الربا ، فإنه بضع وسبعون بابا ، واتقوا الخيانة ، والبَخس والتطفيف ، والكذب ، والحلف ،

---

(٩٢) أورده الغزالى فى الإحياء (٨١٢/٢) .

(٩٣) أخرجه البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير كتاب الإيمان : باب رقم (٣٩) وبيوع (٣) انظر فتح البارى (٣٤٠/٤) ومسلم فى صحيحه كتاب المساقاة رقم (١٠٧) و(١٠٨) وأبو داود فى سننه كتاب البيوع باب (٣) والترمذى فى صحيحه ، وقال : حديث حسن صحيح (١٩٨/٥) والنسائى فى سننه كتاب البيوع ، باب رقم (٣) وقضاة (١١) ، وابن ماجه فى سننه ، كتاب الفتن باب (١٤) والدارمى فى سننه كتاب البيوع باب (١) وأحمد فى المسند (٢٦٧/٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٥) .

(٩٤) أخرجه أحمد فى المسند عن النعمان بن بشير ، انظر المسند (٢٧١/٤) ، وأبو داود فى سننه بلفظ « من وقع فى الشبهات وقع فى الحرام » انظر سنن أبى داود كتاب البيوع باب فى اجتناب الشبهات حديث رقم (٣٣٣٠) .

والمدح ، واحتاطوا لأنفسكم فإن دلالة التقوى فى الورع ، وبالورع يعرف المتقون . وقد بلغنا عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « **من غش مسلماً فليس منا** »[٩٥]. وقال عليه الصلاة والسلام : « **ويل وويل للذين يستحلون الحرام ، والشبهات بالشهوات** » . إخوانى فراقبوا الله فإن الرضى بالقليل مع الفوز العظيم ، أفضل من كثرة المال ، مع الحساب الشديد والعذاب الأليم .

الباب السادس
الاقتصاد فيما رزقتم وحذارِ من الإسراف !

إخوانى أوصيكم بالاقتصاد فيما رزقتم ، فإنه من صلاح الدين ، وأحذركم الإسراف فى وقت الغنى ؛ فإن الله تعالى يكره السَّرف فى كل شىء ، وقد ذم الله تعالى المسرفين ، ومدح الذين لم يسرفوا ، ولم يَقْتُروا[٩٦]. وبلغنا عن بعض التابعين أنه قال : « **كفى بهذا إسرافًا أن يأكل العبد ما يشتهى ، ويلبس ما يشتهى** » . وبلغنا عن بعض أهل العلم قال : « **يجىء يوم القيامة ، قوم يطلبون حسنات لهم عملوها ، فيقال لهم : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ، وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾**[٩٧]»[٩٨]. ألا فكونوا مقتصدين فى أحوالكم من غير إقتار ، ولا إسراف .

الباب السابع
إياكم والبخل

إخوانى : واحذركم ، البخل على الله عز وجل ، فإنه يحرم خير الدنيا ، والآخرة ، ولا يجاورُ اللهَ فى داره بخيل . بلغنا « أن البخيل بعيد من الله ، بعيد من رسوله عليه الصلاة والسلام ، بعيد من الجنة ، قريب من النار »[٩٩]. وبلغنا أن رسول الله ﷺ

---

(٩٥) أخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ « من غشنا فليس منا » عن أبى هريرة انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (١٦٤) وأبو داود فى سننه كتاب البيوع حديث رقم (٣٤٥٢) والترمذى فى صحيحه وقال : حديث حسن صحيح انظر صحيح الترمذى (٥٥/٦) وابن ماجه فى سننه كتاب التجارات حديث رقم (٢٢٢٤) والدارمى فى سننه كتاب البيوع باب رقم (١٠) وأحمد فى المسند (٥٠/٢ ، ٢٤٢ ، ٤١٧ ، ٤٦٦/٣ ، ٤٥/٤ ، ٦٠) وابن حبان فى صحيحه (٤٣٤/٧) .

(٩٦) إشارة إلى قوله تعالى فى وصف عباد الرحمن ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ .

(٩٧) الأحقاف : ٢٠ .

(٩٨) أخرجه عبد بن حميد عن أبى مجلز ، انظر الدر المنثور للسيوطى ٤٢/٦ .

(٩٩) أخرجه البيهقى وضعفه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة

كان يطوف بالبيت ، فإذا هو برجل متعلّق بأستار الكعبة ، وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي . فقال رسول الله ﷺ : « **وماذنبك ؛ صِفْه لى ؟ قال : هو أعظم من أن أصفه لك . فقال : ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون ؟ قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله . قال : ذنبك أعظم أم الجبال ؟ قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله . قال : ذنبك أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله ، قال : ذنبك أعظم أم السموات ؟ قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله . قال : فذنبك أعظم أم العرش ؟ قال : بل ذنبى أعظم يارسول الله . قال : فذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم ، وأجَلّ . قال : ويحك ! فصفه لى . قال : يارسول الله : إنى رجل ذو ثروة من المال ، وإن السائل ليأتينى ليسألنى ، فكأنما يستقبلنى ، بشعلة من نار ، فقال رسول الله ﷺ : إليك عنى لا تحرقنى بنارك ، والذى بعثنى بالهدى ، والكرامة لو قمت بين الركن ، والمقام ، ثم صليت ألف ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار ، وتسقى بدموعك الأشجار ، ثم مت ، وأنت لئيم لكبّك الله فى النار ! ويحك أما علمت أن البخل كفر ، وأن الكفر فى النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفلحوُنَ ﴾**[100]»[101].

أَلاَ ومَنْ أعظمُ جُرْمًا ممن وهبه الله الكثير من المال ويستقرض منه القليل[102] فيبخل به عليه . أعاذنا الله وإياكم من البخل .

الباب الثامن
إياك وأصحاب السوء

إخوانى : وأحذركم مخالطة الناس ، فإن جميع التعدى ، والأوزار مجموع فى مخالطتهم ، ومعاشرتهم ، وما تشعرون ، وإنما يعلم أهل الورع ، والمحاسبة ، ولسنا ممن نسلم بديننا ، إذا اجتمع شياطين الإنس ، والجن ، ونحن كبعضهم يوحى بعضُنا

= قريب من النار » ، انظر الدر المنثور للسيوطى (١٩٧/٦) ، والترمذى فى صحيحه عن أبى هريرة وقال : حديث غريب ، انظر صحيح الترمذى كتاب البر باب رقم (٤٠) (١٤٠/٨) .

(١٠٠) الحشر : ٩ .

(١٠١) أورده الغزالى فى الإحياء بطوله وقال الحافظ العراقى : حديث باطل لا أصل له ، انظر الإحياء كتاب ذم البخل (١٧٩٩/٤ ، ١٨٠٠) .

(١٠٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ .

إلى بعض زخرف القول غرورا . ألا فعاشروا من الناس رجلين : أحدهما : يُعينُ على البر ، والتقوى ، والآخر : يعين على أحوالك من الدنيا ، فإن جمع الله المعونة على الدين ، والدنيا فى رجل واحد فتَمَسَّك به ، وجانب مَن سِواه جميعهم ضرر فى الدين إلا المعين على البِّر . ألا وإن أفضل السلامة ، فى مجانبة الناس ، وهى أجزل ثواباً ، وأعظم مما تحسبون . وكذلك بلغنا : أن العبادة عشرة أجزاء واحدٌ منها فى الصمت ، وتسعة فى مجانبة الناس[١٠٣] . وقد نصحت إن قبلتم – والقابلون لهذا قليل – والصبر على الوحدة شديد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وفقنا الله وإياكم ، لكل خير برحمته . ألا فزايلوا[١٠٤] الناس بالقلوب ، والأعمال ، وواصلوهم بالسلام وبما يجب من حقوق المسلمين .

الباب التاسع
الرضا بقضاء الله

إخوانى : وبعد فما أتاكم عن الله عز وجل ، والرسول عليه السلام من رُخصِ اللَّهِ فخذوها . فإنه بلغنا « **أن الله عز وجل يُحِبّ أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه** »[١٠٥] . فارغبوا فيما أبيح لكم مِنَ كل سهل يسير . فقد بلغنا « أن رسول الله ﷺ كان يرغب كثيرا فى السهل اليسير من الأمور » ، فلا تعدلوا عن العافية فى الأحوال كلها ، ولا تتعرضوا للبلوى فلسنا من أهلها[١٠٦] . وبعد : فإن ابتليتم بشىء من المكاره ، والمصائب فعند ذلك فجاهدوا أنفسَكم على الصّبر فى الضّراء ، فإن ذلك نظر من الله لعبده فاتقوا الشكوى ، وقلة الرضى بالقضاء . فإنه

---

(١٠٣) أورده الغزالى فى الإحياء (٨١٣/٢) ، وقال : « تسعة منها فى طلب الحلال » .

(١٠٤) فزايلوا : زايله مزايلة ، وزيالاً : فارقه ، وتزيلوا تباينوا ، وتفرقوا ، والمقصود فارقوا الناس وقاطعوهم بالقلوب والأعمال ، وإن كان هذا لا يمنعكم أن تواصلوهم بالسلام وبما يجب من حق المسلم على المسلم .

(١٠٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر وقال الهيثمى : الحديث إسناده حسن ، انظر مجمع الزوائد (١٦٢/٣) ، وأبو نعيم فى الحلية عن معمر بن عبد الله ، انظر الحلية (١٠١/٢) ، وأحمد فى المسند عن ابن عمر « بلفظ إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » ، انظر المسند (١٠٨/٢) ، والديلمى فى الفردوس حديث رقم (٥٧٧) .

(١٠٦) أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه .. ما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » . انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم (١٣٠) ، وكتاب الحج حديث رقم (٤١٢) ؛ وابن ماجه مقدمة باب رقم (١) .

بلغنا آن الله – جل ثناؤه – يقول : « **من لم يرضَ بقضائى ، ويصبر على بلائى ، فليتخذ ربّاً سواى** »[١٠٧]. وبلغنا أن الله – جل ثناؤه – يقول : « **من رضى بقضائى ، وحكمى ، وقَدَرِى فله الرضى ، وإذا لقينى أرضيته ، ومن سخط بقضائى ، وحُكْمى ، وقَدَرِى فله السُّخط ، وإذا لقينى أسخطته** »[١٠٨]. ألا وكفى بهذا مصيبة ، حلت بعبد ساءه نظر الله له ، فلا تحزنوا لنظر الله لكم . إخوانى : واعلموا أن السرور فى مصائب الدنيا ، وذلك ذخر للصابرين ، ومحو للخطايا . وقد بلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : « **إن الذى لا يفرح بالمصيبة لما يرجو من كفارة الخطايا تقول الملائكة : داويناه فلم يبرأ** » . ويحكم ! فمن أولى بالسرور من مصائب الدنيا ، ممن أيقن باختيار الله له ، واحتملها قليلا ، وسعد بها طويلا . ومن أولى بالسرور من المكارِه ، مِمّن نظر الله له فكفر بالمصيبة مساوئه ، وأثابه عليها ثواباً بغير حساب ، وأسعده بها أبد الأبد ، أسعدنا الله وإياكم ، برضاه عنا ، آمين آمين يارب العالمين .

الباب العاشر
مكائد الشيطان

إخوانى اعلموا أن الشيطان يحزن طويلا عند الطاعات ، وله مكائد فهو لا يقصر فى إبطال الطاعات ، ويوسوس فى النفوس حبّ الثناء ، والتعظيم ، والإعجاب ، والتكبّر ، ودعوى علوّ الدّرجات ، واتباعَ الهوى فمتى أنعم الله عليكم بأعمال البر فتحرزوا من الشيطان ، وراقِبُوا الله أن تلتمسوا بالدين عَرَضًا من الدنيا ، وتَلْتَمِسُوا الثَّنَاء ، والتعظيمَ بأسبابِ الدين ، فما أخلق ذلك أن يمحقَ أعمالَ العباد . وبعد : فمتى ابتليتم بالمِدْحة ، والتزكية فلا تعجبوا بذلك ، فإنه ضِرَارٌ بالدين ، وإذا سبق السُّرور بالمِدحة إلى القلب ، فلا تُصروا على ذلك ، ورُدّوا السرورَ بالعلم ، بضَرَرِ التزكية فى الدين ، وردوا بالكراهية المِدْحَة واستعيذوا بالله من شر التزكية فما يؤمنكم أن تكونوا من الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ؟! وبعد : فإنه بلغنا « **أن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من رأى الناسُ أن فيه خيرا** ،

---

(١٠٧) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس بن مالك حديث رقم (١٩٦) ،وأورده السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس بن مالك ، وضعفه الألبانى انظر الجامع الصغير حديث رقم (٥٨٥٤) .

(١٠٨) أخرجه أحمد فى المسند بنحوه عن أبى العلاء بن الشخير ، انظر المسند (٢٤/٥) .

ولا خير فيه ، وعسى المسْرور بالمدحةَ أن يكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة ، وما يشعر » . فراقبوا الله سبحانه ، وجاهدوا أنفسكم على نفى السرور ، إذا بُليتُم بالمدحة حتى توافوا يوم القيامة ، وتعاينوا الذى لكم عند الله فإما سرور دائم فى دار الكرامة ، وإما حزن طويل فى العذاب الأليم ، أعاذنا الله تعالى ، وإياكم من ذلك برحمته .

الباب الحادى عشر
إياكم والإعجاب بأعمالكم

إخوانى : اتقوا الإعجاب على أعمالكم ، أن تستكثروها لربكم عز وجل ، فيمقتَكم الله عز وجل على ذلك ، واعلموا أن أعمالكم لا تقوم بشكر نعمةٍ واحدة ، من نعم الله تعالى عليكم ، بل النعمة الواحدة ، تستوجب جميع أعمالكم كلها ، وسائر النعم وافرة يطالبكم بشكرها فما ظنكم ؟ وبعد : فإن أعمالكم بالبر نعم من الله عليكم مجددة ، فمتى تأتون بشكرها ، ولئن شكرتم إن شكركم لنعم مجددة عليكم ، ولولا إلهامه إياكم الشكر لما شكرتم ، ولا توجهتم له أبدا . وبعد : فلو عرفتم عظمة الله ، وكبرياءَهُ وجلاله ، والذى هو له أهل لاستحييتم من ذكر أعمالكم ، ولو علمتم قدر أيادى الله تعالى ، ونعمه عليكم لاستقللتم أعمال الخلائق لنعمة واحدة ، ولأشفقتم من بقية النعم ، أن يطالبكم بشكرها ، فكيف تستكثرون أعمالكم المشوبة بالآفات ، وكيف يعجب بأعماله من كانت الأعمال مِنَنًا من الله عليه ، وعليه من المنن فى الدين ، والدنيا أكثر من أن تعد وتحصى ، ومن يعلم قدرها إلا الممتَنُّ بها ، فياللمقصر فى الشكر ، ما أزين به الاستحياء من ذكر أعماله ، وياللمفرط فى حقوق الله عز وجل ، ما أولى به الوجل ، والإشفاق لتضييعه كثيراً من أمور ربه عز وجل . وبعد : فإن اللبيب العالم بالتقصير فى غموم ، وشغل عن الإعجاب بأعماله ، ألا واستعينوا على نفى الإعجاب باحتقار أعمالكم ، وتذكر أيادى الله لديكم ، وبالعلم بتقصيركم فيما يجب لله عليكم ، وبالوجل من زوال النعم عند تضييع الشكر .

الباب الثانى عشر
الاستعانة بالله على نفى الكبر من القلب

إخوانى : وأحذركم الكبر ، فراقبوا الله تعالى أن تزدروا على أحد من الأمة ، أو

تجحدوا الحق ، إذا قيل لكم ، فإن الله تعالى ، يسخط لذلك ، ويصغر المتكبرين ! وبعد : فكيف تزدرون على مسلم ، لا تدرون بما يختم له ، ولكم ، ولا تدرون إلى أى الدارين مصيركم . وبعد : فإن نصحت نفسك ، فأنت بالازدراء عليك أولى ، أوَ ليس قد اطلعت من أسواء نفسك ، وخبث سريرتك ، على ما لم تطّلع على مثله من سريرة غيرك ! فإن زعمت أنك اطلعت من سريرة غيرك ، على مثل الذى اطلعت عليه من سريرتك ، فقد ادعيت عظيما ، إذْ لم تكن مطلعا من سريرة غيرك على مثل الذى اطلعت عليه من سريرتك إلا بالازدراء على نفسك وعدم تزكيتها . وبعد فإنك منهى عن تفضيل نفسك ، وتزكيتها محرم عليك ، وعساك فى القيامة تحت أقدام الذين ازدريت عليهم فى الدنيا ، فتدبر ماسمعت ، واستعن بالله على نفى الكبر من قلبك أعاذنا الله ، وإياكم من ذلك .

الباب الثالث عشر
تفقُّد سرائر الأنفس وخفيات الصدور

إخوانى : وتفقدوا سرائر الأنفس ، وخفيات الصدور ، وطهروها من الغِل ، والحسد ، والحقد ، والشماتة ، وسوء الظن ، والعداوة ، والبغضاء . فإنه بلغنا : « **أن الغل والحسد يأكلان الحسنات** »(١٠٩) . وبلغنا : « **إن من لم يحب ويكره للمسلمين مايحب ويكره لنفسه فليس منهم** »(١١٠) . ألا فتفقدوا السرائر فى كل حين ، عسى أن يكون منكم مصر على بعض المعاصى ، وما يشعر ، وانظروا هل تجدون فى القلوب حب الدنيا ، والسرور بإقبالها ، والتقلب فى شهواتها ؟! وهل تجدون حلاوة المِدْحة والتعظيم أحياناً ؟ وهل تأنفون من المَذمة وتمتعضون منها ؟ وهل تكرهون شيئاً يخالف أهواءكم ، وترضون بما وافق الهوى ؟ وهل تلهون بالنظر إلى الخلق من غير اعتبار ؟ وهل تلهون بفضول الكلام ، وتصمتون أحيانا مفكرين فى غير ميعاد ؟ وهل تعملون من الأعمال شيئاً الله راضٍ بها ، وأنتم تأنفون من عملها ؟ وهل تجدون خوف الفقر أحياناً ؟ وهل تكرهون شيئاً قضاه الله فيكم ؟ فهذا ونحوه من ذنوب القلوب ، وأنتم غافلون قد أحسب قراءكم مصرين عليها ، وما يشعرون . ألا فجاهدوا أنفسكم على

(١٠٩) أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أنس بن مالك حديث رقم (٤٢١٠) ، وابن مردويه عن أبى هريرة ، انظر الدر المنثور للسيوطى (٤١٩/٦) ، والديلمى فى الفردوس حديث رقم (٢٨١٢) .

(١١٠) لم أعثر عليه .

الانتقال من الأخلاق المذمومة ، ولا تستصغروها . فإنه بلغنا « **أن من استصغر ذنبا فقد استصغر بوعيد الله جل وعز** »[١١١]. إخوانى : فراقبوا من يعلم السر وأخفى وأن تصروا على شيء من مكاره الله – عز وجل – فليس مع الإصرار صغيرة[١١٢]. وقد بلغنا أن بعض الصحابة قال : « الإصرار على الذنوب ، كفر ، ومعصية ، وما أصر عليه العبد ، فهو من الكبائر »[١١٣]. وبعد : فإن صاحب الكبائر مع الإنابة ، أقرب إلى العفو من المصر على الصغائر . وقد بلغنا أن الله عز وجل يقول : « **لا أقبل عثرة المصرين فى الدنيا ، والآخرة ، لا شيء أعظم عندى من الإصرار** »[١١٤]. ألا وإنما اشتد الغضب على المصرين لقلة اكتراثهم بتراكم الأوزار عليهم ، واستهانتهم بسخط الجبَّار ، أعاذنا الله ، وإياكم من الإصرار ، فإنه أمر عظيم ، وسلك بنا ، وبكم سبيل المصْطَفَيْن الأخيار .

الباب الرابع عشر
تحذير من اختلاف الأمة

إخوانى : إن فنون العلم ، والعبادة ، وجميع ما يتقرب به إلى الله تعالى الحسن . غير أنى أعهد إليكم فى معرفة الفرائض المؤكدة على القلوب ، والجوارح ، ومعرفة الورع فى المكاسب ، وفى الأحوال الظاهرة ، والباطنة ، والعمل بحسن النية ، والإخلاص لله بالأعمال ، فلا تقصروا فى شيء من ذلك . فإنه بلغنا أن الله عز وجل يقول : « **لا ينجو منى عبدى إلا بأداء ما افترصت عليه** »[١١٥]. ألا فانكمشوا فى الفرائض التى يسخط الله تعالى على من يضيعها ، ويفوز العباد بأدائها . وبعد : فأحذركم النظر ، والبحث فى اختلاف الأمة ، وقد انتهى إليكم الذى حل بهم من أجل

---

(١١١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن بلال بن سعد يقول : « لاتنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر من عصيت » حديث رقم (٢٨٢) .

(١١٢) أورد السخاوى فى المقاصد الحسنة : « لا صغيرة مع الإصرار » انظر المقاصد الحسنة حديث رقم (١٣٠٨) .

(١١٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى التوبة ، والبيهقى عن ابن عباس ، انظر الدر المنثور للسيوطى (٧٨/٢) .

(١١٤) أخرجه أحمد فى المسند بنحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، انظر المسند (١٦٥/٢ ، ٢١٩) ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقى انظر الدر المنثور للسيوطى (٧٨/٢) .

(١١٥) أخرجه البخارى فى صحيحه بنحوه عن أبى هريرة ، انظر فتح البارى ، كتاب الرقاق ، باب التواضع (٣٤٨/١١) .

الاختلاف ، والفرق ، وما ابتلوا به من الأهواء المضلة ، وارتكاب العظائم من مذاهب القدرية[١١٦] ، والمرجئة[١١٧] ، والرافضة[١١٨] ، والجهمية[١١٩] ، والحرورية[١٢٠] ، فحاربوا ، وتعادوا ، وتباغضوا . وشهد بعضهم على بعض بالكفر والضلال واستحلوا دماء المخالفين لأهوائهم ، وقد كانوا من قبل ذلك إخواناً على أمر الله تعالى متّفقين فلما بلوا بالبحث والتعمق صاروا أصنافاً ، واحتج كل قوم بمتشابه القرآن ، وبالآثار التى توافق أهواءهم فضلوا ، وأضلوّا بذلك كثيراً . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ ، وضع يده على لحية عمر – رضى الله عنه – ثم قال : « **يا عمرَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾**[١٢١]، فقال عمر : بأبى أنت ، وأمى يارسول الله **﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾** فبماذا ؟ قال : **إن جبريل عليه السلام أتانى آنفا فقال يامحمد : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ إن أمتك مفتونون بعدك بقليل غير كثير ، قلت : ياجبريل فتنة ضلال ، أم فتنة كفر ؟ قال : كل ذلك سيكون ، قلت : وكيف يضلون أو يكفرون ؟ وأنا مخلف بين أظهرهم كتاب الله عز وجل قال : بكتاب الله يضلون يتأوله كل قوم على ما يشتهون ، وبه يضلون** »[١٢٢]. ألا فراقبوا الله ، وذروا التعمق ، والبحث عما اختلفوا فيه ، فإنه بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير ، يتفرع من الكلام فنون تدق حتى يحار فيها اللبيب العالم ، فما ظنكم بأمثالنا المنقوصين عقلا وعلما . ألا فتمسكوا بكل مُجْمع عليه ، ولم تختلف فيه ، من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وحدوده ، وفرائضه ، وشرائع دينه ، وجميع ما أجمع عليه السلف ففيه الرشد

(١١٦) القدرية : إحدى الفرق الكلامية ، من آرائهم ، أن الإنسان قادر خالق لأفعاله ، من أتباعها معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد بن درهم ، وقد تبرأ منهم المتأخرين من الصحابة ، كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأقرانهم .

(١١٧) المرجئة : من الفرق الكلامية ، وقد سميت كذلك نسبة إلى الإرجاء ، وللإرجاء معان متعددة ذكرها الشهرستانى فى الملل والنحل ، والرأى الشائع عنهم ، أنهم سموا مرجئة ، لأنهم أرجأوا الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة .

(١١٨) الرافضة : من غلاة الشيعة ، وقد ذهبوا إلى أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ – على بن أبى طالب ، ومن أشهر متكلمى هذه الفرقة هشام بن الحكم ، له مؤلفات عديدة ذكرها الزركلى فى الأعلام (٨/٨٥) .

(١١٩) الجهمية : من الفرق الكلامية ، تنسب إلى جهم بن صفوان ، وهو من القائلين بأن الإنسان مجبر فى أفعاله ، ولا قدرة له ولا إرادة ، كما يقول الشهرستانى فى الملل والنحل (جـ ١) (ص ٨٧) .

(١٢٠) الحرورية : من الخوارج ، تنسب إلى قرية حروراء بالكوفة ، من أشهر متكلمى هذه الفرقة عبد الله ابن ثور أبو فديك ونجدة بن عامر .

(١٢١) البقرة : ١٥٦ .

(١٢٢) أخرجه أحمد فى المسند عن عقبة بن عامر الجهنى ، انظر المسند (٤/١٥٥) .

والحق . فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يجمع الله أمتى على ضلال** »[١٢٣]. وهو قوله الحق ، وما اجتمعوا عليه فهو الصواب لاشك فيه ، وإنما دهاهم الشيطان بالاختلاف . ألا فاتقوا التعمق ، فيما اختلفوا فيه ، فإن لكم فيما اجتمعوا عليه من حدود الدين شغلا شاغلاً ، فيما لم تنالوا علمه أبدا . وقد بلغنى أن وهب بن منبه قال : « كان فى المسجد الحرام قوم يتكلمون بالجبر[١٢٤]، والقدر[١٢٥] فقلت : إنى قرأت اثنين وسبعين كتابا ، أنزلت من السماء ، وشاركت الناس فى علومهم ، وعلمت كثيرا مما لم يعلم الناس ، فوجدت أنطق الناس بهذا الأمر أجهلهم به ، ووجدت أسكتهم عنه أعلمهم به ، ووجدت الناظر فيه كالناظر فى شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظراً ازداد فيه تحيرا »[١٢٦]. وبلغنا « أن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال : إياكم ، والخصومات فى الدين فإنها تشغل القلب ، وتزرع النفاق فى القلب » . وبلغنا أن بعض أهل العلم عهد إلى إخوانه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فاعلموا أن هذه الأهواء قد كثرت فى الناس ، والمخرج من ذلك أن تلزموا ما اجتمعوا عليه ، وأن تقفوا عندما اختلفوا فيه فإن البَرَّ والفاجر كلهم مجمعون بأن الله حق ، والرسول – عليه السلام – حق ، والقرآن ، والرسل حق ، والكتاب ، والملائكة حق ، والبعث ، والجنة ، والنار حق ليس بينهم اختلاف ، وأن الصلاة الخمس بوضوئها ، والغسل من الجنابة ، وصوم شهر رمضان ، والزكاة ، والحج ، وبر الوالدين ، وأداء الأمانة ، وكف الأذى ، وإنصاف الناس من نفسك واجب على كل مسلم ، وأن ما قال الله حق : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ** ﴾[١٢٧] إلى آخر الآية . نكاحهن حرام ، والخمر حرام ، والسرقة ، والزنا ، والتَّطْفِيف ، والغِش ، والخيانة ، والكذب ، وأشباهه حرام ، وليس بين البَرّ والفاجر فى هذا خلاف ، وأهل السنة ، وأهل البدع فى هذا سواء ليس بينهم اختلاف ، فمن عمل بهذا ، وعمل بما فيه لم يضره ما جهل مما وراء ذلك إن شاء الله تعالى ، فالتزموا هذا ولا تَجاوَزوه ، وإن سُئلتم عن شيء من

---

(١٢٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أنس بن مالك ، كتاب الفتن ، باب السواد الأعظم حديث رقم (٣٩٥٠) ، وأبو داود فى سننه كتاب الفتن ، حديث رقم (٤٢٥٣) ، وابن كثير فى الفتن والملاحم ، وقال : حديث ضعيف لأن معاذ بن رفاعة السلامى ضعفه غير واحد من الأئمة ، انظر الفتن (٣٦/١) ، والعجلونى فى كشف الخفاء حديث رقم (٢٩٩٩) .

(١٢٤) الجبر : أى أن الإنسان مجبر فى أفعاله خيرها وشرها .

(١٢٥) القدر : أى أن الإنسان قادر وخالق لأفعاله وقد سبق تعريفه .

(١٢٦) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء عن أبى سنان ، انظر الحلية (٢٤/٤) .

(١٢٧) النساء : ٢٣ .

هذا فقولوا : آمنا بالقرآن ، وما فيه كُلٌّ من عند ربنا ، واصمتوا ، ولا تجيبوا ، ولا تخوضوا فيه فإن قلتم : فإنا نحب أن نعرف الصواب من الخطأ فيما قد اختلفوا فيه ، ثم خضتم فيه ، وبحثتم عنه ، وتعمقتم فيه ، لم تسلموا من الفتنة إلا ماشاء الله ، فاقبلوا النصيحة ، ولا تَجَاوَزوه ، ولا تخوضوا فيه ، ولكل فريضة من هذا شرائع ، وحدود ، وسنن فاستعملوها ، وتعلّموها لتتم لكم صلاتكم ، وتطيب لكم مكاسبكم ، ولا تَقُعوا فى الرياء ، واشتغلوا فى تعلم فرائض دينكم ، واشتغلوا فى تعلم حدود الدين فهو خير لكم ، فإنكم إذا تبحرتم فى العلم لم يخف عليكم إن شاء الله تعالى خطأ من خالف العلم الذى فى أيديكم ، وأبصرتم الأمر ثم الأمر من غير الأدب ، وما أمرتم به ، فإذا تعمدتم النظر فى الاختلاف دون التبحر فى العلم ، ومجالسة العلماء ، ومذاكرتهم لم يؤمن عليكم أن تبتلوا بشىء يسبق إلى قلوبكم من الفتنة . ويقال : « **ما من ضلالة إلا وعليها زينة** ». ولعلكم تتركون الحق بعد ذلك ، وتأتى قلوبكم من قبول الحق من بعده ، وعلامة البصير بالسنة : تحذيره من الخوض فى البدع لبصره بدقة الكلم ، وخَفِيّه ، وتبحره فيه فأزجر الناس عن المِراء أعظمهم علما ، وأشدهم عقلا ، وأكثرهم فقها ، وأجرأ الناس على الدخول فى المِراء ، أقلهم علماً وأضعفهم رياء ، وأدناهم نظراً ، فالحذر ثم الحذر ، فقد حُذرتم ، وقيل لكم : عليكم بدين العجائز ودين الأعراب ، ودين الغلام فى الكتاب[١٢٨]، واقبلوا النصيحة ، ولا تكونوا ممن قيل لهم ﴿ **وَلَكِن لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾[١٢٩]. ألا فراقبوا الله . إخوانى : واقبلوا نصح الشفيق عليكم ، فإن الشيطان لا يقصر فى صدكم عن سبيل الحق ، ويحبب عليكم النظر فى اختلاف الأمة لمعرفة الحق بزعمه ، واختيار الصواب ، كهيئة الناصح لكم ، ولعمرى إنه بالأهواء ، والفتن دهاكم ، وعن ذكر المعاد ألهاكم ، فيالشغل القلوب فى غير قربة بل فى التباعد عن ربكم ، ألا ولا تردوا المهالك باتباع الهوى ، عصمنا الله ، وإياكم من ذلك آمين .

الباب الخامس عشر
رعاية الجوارح والقلوب

إخوانى : وخصلة أعهد إليكم بها ، فيها جُمّاع الخير كله أوصيكم برعاية الجوارح ، والقلوب ، والتثبت بذلك فى الأحوال كلها ، ولا تبدءوا بفعل ، ولا قول ،

(١٢٨) والمراد : التسليم والتصديق .
(١٢٩) الأعراف : ٧٩ .

ولا تضمروا شيئاً إلا بنظر ، وتدبير ، وإن كان محموداً عند الإله سبحانه وتعالى فبادروا فعله ، وما كان مذموماً فجانبوه ، وما خفى عليكم معرفته فكِلُوه إلى العالم به ، وقِفوا عنه حتى يأتى الله بعلمه وبيانه . فإنه بغلنا أن رسول الله ﷺ قال : « **أحَبّ البرية إلى الله – عز وجل – من لم يقدم قولا ، ولا فعلا ، ولا يدا ، ولا رجلا ، ولا بطشا ، ولا نية إلا بنظر ، وتدبير فإن كان لله فيه رضى أمضى ، وإن كان غير ذلك أمسك** »[١٣٠]. ألا فتشبهوا بأولى الألباب والنُهى ، وأهل الورع والتُقى ، وتأدبوا بآدابهم تجدوا به عِزّاً يوم الحساب ، وفقنا الله ، وإياكم لكل خير برحمته .

الباب السادس عشر
المصيبة فى تضييع حقوق الله

إخوانى : هذا – والله – الطريق إلى الله فتمسكوا بما وصفت لكم ، واعتقدوه فى قلوبكم ، وابنوا عليه أعمالَكم ، وجاهدوا فى القيام به أنفسكم ، فإنى أرى النفس الأمارة مجمعة على تضييع أمر الله عز وجل ، فراقبوا الله ، ولا تهملوها فيمحق دينكم ، ويؤتى عليكم ، وما تشعرون . وبعد فليس برشيد من ضيع ما تسمعون ، وإن حقوق الله لأكثر من ذلك ، وأكبر فإن أظهرتم العجز عن القيام فلا أقل من الحزن الدائم العظيم ، لأن المصيبة فى تضييع حقوق الله ، وقد أحْسَبُ حزنكم لمصائب الدنيا أكثر من حزنكم لمصائب الدين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . المصائب تترى ويَعلو بعضها على بعض ، ستبدو عواقبها عند الورود غداً ، وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته إنه سميع الدعاء ، وبيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ، والسلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته ، وأزكى تحياته . فلما انقضى كلام عبد الله – رحمة الله عليه ورضوانه – أقبل عليه أهل الأنس به فقالوا له : أيها الأخ المحتاط لإخوانه إنك لم تأل فى النصح ولم تقصر فى النظر ، وإن الذى أنهيت إلينا هو الحق الذى لا محيص عنه فقد ثبتت به الحجة ، واتضح به منار الهدى ووجب علينا العمل به ، والله المعين على ذلك ، والموفق له ، فجزاك الله المنان بالنعم ، أفضل جزاء العاملين له ، ولقد سمعناك تصف قوما بأحلام راجحة ، وعقول كاملة ، وأخلاق كريمة ، وأعمال صالحة ، ومعرفة بالنعم ، واجتهاد فى الشكر ، ومبالغة فى حرجات الصدق ، ورغّبْتنا

(١٣٠) لم أجده .